

## الحلقة (٢٩)

**وحديثنا في هذا اللقاء سيكون مع أكثر من حديث، وأول هذه الأحاديث:**

عن أنس رضي الله عنه ((أن النبي صلى الله عليه وسلم قنت شهراً بعد الركوع يدعو على أحياء من أحياء العرب ثم تركه)) متفق عليه، ولأحمد والدارقطني نحوه من وجه آخر وزادا (وأما في الصبح فلم يزل يقنت حتى فارق الدنيا).

الحديث كما نرى الشطر الأول في الصحيحين ولسنا في حاجة إلى بيان درجته. أما ما جاء فيه من زيادة في قوله: ولأحمد والدارقطني نحوه من وجه آخر وزادا (وأما في الصبح فلم يزل يقنت حتى فارق الدنيا) فهذه الزيادة عند أحمد والدارقطني صححها الحاكم، ومال ابن دقيق العيد إلى تصحيحها، ولعل هذه الروايات ظاهرها التعارض، سنذكر إن شاء الله تعالى ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في زاد المعاد جمعاً بين هذه الأحاديث، **فإذا الزيادة صحيحة والله أعلم.**

**أما الألفاظ الواردة في النص:**

فقول أنس رضي الله عنه قنت: والمراد بالقنوت هنا، هو الدعاء في الصلاة بعد الرفع من الركوع الأخير، سواء كان ذلك في الوتر أو كان ذلك في صلاة الفجر أو في غير ذلك عند من يرى أنه في أي صلاة.

فإذا القنوت هو الدعاء بعد الرفع من الركوع الأخير في الصلاة، فهو الدعاء. فالقنوت غالباً إنما يأتي إذا كان دعاء على قوم، يقال له قنوت، وقد يكون أيضاً دعاء لقوم، فيقنت يدعو لنفسه وللمسلمين عموماً، ويقنت يدعو على أناس، ويُمكن الجمع بين الأمرين، لأن لفظة على إنما تكون للضرر، ولفظة اللام تكون في الخير.

قال أنس رضي الله عنه: (يدعو على أحياء من العرب). الأحياء: جمع حي والمراد بها هنا القبيلة، وهؤلاء كما جاء ذكرهم أو ذكرهم العلماء رعل وعُصيّة وذكوان وبنو لحيان، هذه أسماء بعض من قبائل العرب دعا عليها النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه المتفق عليه (شهرًا) بعد الركوع، يدعو عليهم شهرًا ثم ترك القنوت بعد ذلك، له سبب!

**لماذا النبي صلى الله عليه وسلم قنت يدعو عليهم شهرًا؟**

النبي صلى الله عليه وسلم أرسل عددًا من القراء إلى هؤلاء أو إلى هذه القبائل، وكان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد، أي بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين هذه القبائل عهد، فأرسل القراء ليعلموا الناس، فغدر بهم أولئك وقتلوا القراء، فلما وصل الخبر للنبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم في صلاته، هذا هو سبب الحديث.

سبب الحديث أو سبب هذا الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم على تلك القبائل أنهم غدروا بالقراء فقتلوه، ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم، فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم.

### أما الجمع بين الروايات عندنا هنا روايتان:

الأولى المتفق عليها: (أنه قنت شهراً ثم ترك)، الرواية الثانية: (أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يقنت في صلاة الفجر حتى فارق الدنيا)، والزيادة كما تقدم معنا صحيحة.

وجاء أيضاً عن أنس رضي الله عنه في حديث آخر (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقنت إلا إذا دعا لقوم أو دعا على قوم).

ففي هذا أيضاً مع هذه الزيادة التي تقدمت لأحمد والدارقطني يظهر بينها التعارض، أن النبي صلى الله عليه وسلم هنا لا يقنت إلا إذا دعا لقوم أو دعا على قوم، بينما في الزيادة التي قبلها أيضاً في حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم (لم يزل يقنت في صلاة الفجر)، هنا ظاهرها التعارض، أنه هنا ما دعا إلا أحياناً، بينما هنا لا، استمر طيلة حياته إلى أن مات صلى الله عليه وسلم وهو يقنت في الفجر.

قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: "أحاديث أنس في القنوت كلها صحاح يُصدق بعضها بعضاً، والقنوت الذي ذكره قبل الركوع غير الذي ذكره بعده، والذي وقته غير الذي أطلقه، فالذي ذكره قبل الركوع، هو إطالة القيام للقراءة، والذي ذكره بعده هو إطالة القيام للدعاء، ففعله شهراً يدعو لقوم ثم استمر تطويل هذا الركن للدعاء والثناء إلى أن فارق الدنيا، والذي تركه هو الدعاء على أقوام من العرب وكان بعد الركوع" انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

فاذاً يؤخذ من ذلك أن ما كان قبل الركوع فالمراد به إطالة القراءة في صلاة الفجر، كون النبي صلى الله عليه وسلم دعا وأطال فترك ذلك الدعاء وأطال القراءة، وهذا قبل الركوع، وهذا الذي استمر عليه النبي صلى الله عليه وسلم أنه إنما كان يطيل القراءة في صلاة الفجر.

أما ما كان بعد الركوع فهذا هو الذي تركه النبي صلى الله عليه وسلم وكان دعاءه في وقت أو ما يكون له سبب، دعا لقوم أو دعا على آخرين، فكان هذا هو وجه الجمع بين هاتين الروايتين.

فاذاً تبين لنا من هذا مشروعية القنوت عندما تنزل بالمسلمين نازلة فيدعو المسلمون لإخوانهم بأن يذهب الله سبحانه وتعالى ما حلّ بهم من ضيق وشدة، أو ما حلّ بأنفسهم هم إذا كانوا هم الواقعون في هذا.

### ننتقل بعد هذا إلى حديث آخر وهو حديث: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه التفت رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال: (إذا صلى أحدكم فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد

أن محمداً عبده ورسوله ثُمَّ لِيَتَخِيرَ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو) متفق عليه، واللفظ للبخاري، وللنسائي: (كُنَّا نَقُولُ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْنَا التَّشَهُّدَ) ولأحمد (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَهُ التَّشَهُّدَ وَأَمَرَهُ أَنْ يُعْلِمَ النَّاسَ)، ولمسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْلَمُنَا التَّشَهُّدَ: التَّحِيَّاتِ الْمُبَارَكَاتِ الصَّلَوَاتِ الطَّيِّبَاتِ اللَّهُ ...) إلى آخره.

هذا الحديث كما نرى جاء في الصحيحين بأصله، وجاءت زيادات أخرى في أحد الصحيحين أو في غيرهما، وهذه ألفاظ فيما يقوله المصلي في صلاته.

### وأما معاني الألفاظ الواردة في هذا النص

التحيات لله: فالتحيات جمع تحية، وهي لفظة تجمع معاني التعظيم كُلِّهَا لله سبحانه وتعالى، ففيها الثناء المطلق لله سبحانه وتعالى وأنواع التعظيم له سبحانه وتعالى، عندما يقول التحيات لله: فيجمع معاني التعظيم كلها لله سبحانه وتعالى.

وقوله (الصلوات): الصلوات هي الصلوات المعلومات، وأول ما يدخل في هذه الصلوات هي الصلاة المكتوبة بلا شك، ويدخل معها النافلة، لكن المكتوبة هي المقدمة في هذا.

قوله صلى الله عليه وسلم: (السلام) قال النووي: يجوز في السلام في الموضعين حذف اللام وإثباتها، والإثبات أفضل وهو الموجود في روايات الصحيحين، أن يقول "السلام" بإثبات اللام هنا، حذف اللام وإثباتها أي يُقال "السلام" ويُقال "سلام".

و السلام على النبي صلى الله عليه وسلم أي السلامة من النقص والعيب وأي آفة أو فساد، فهو دعاء من المصلي للنبي صلى الله عليه وسلم، كأنه يدعو الله سبحانه وتعالى أن يُسلم نبيه صلى الله عليه وسلم من كل نقص وكل آفة وكل فساد، فهذا من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته.

جاء هنا مسألة نبينها ويحتاج التنبيه إليها، وهي كلمة "عليك" المراد بكاف الخطاب هنا: النبي صلى الله عليه وسلم، سواء كان حاضراً أو كان غائباً، حياً أو ميتاً صلى الله عليه وسلم، فيُخاطب بهذا ((السلام عليك أيها النبي)) يقال هذا في حضرته وبغيبته في حياته وبعد موته تقال هذه اللفظة على حالها، والكاف هنا للخطاب.

ولنعلم أن الصلاة تبطل إذا ما ذُكر فيها كاف الخطاب إلا إذا كان لله سبحانه وتعالى أو كان لنبيه صلى الله عليه وسلم كما هنا "السلام عليك أيها النبي" فلا تبطل الصلاة بذلك، لكنه لو انصرف لغير النبي صلى الله عليه وسلم أو غير الله سبحانه وتعالى، فقال العلماء أن كاف الخطاب تبطل الصلاة به والله أعلم.

في قول المصلي "السلام علينا" يُراد به الحاضرون من الإمام والمؤمنين والملائكة، ويقولها المصلي في صلاته وهو واحد، ويأتي بهذا الضمير ضمير الجمع، فيأتي بذلك لأن المصلي هنا يُسلم على نفسه ويسلم على من معه من المصلين والإمام كذلك ويسلم على الملائكة الذين حضروا، فهو إذاً للجمع،

ويكون لهؤلاء جميعاً والله أعلم.

كلمة (عباد الله الصالحين) هم القائمون بحقوق الله وحقوق خلقه ودرجاتهم متفاوتة في هذا.

### أما ما يؤخذ من هذا الحديث:

١- دل الحديث على أن المصلي إذا انتهى من عدد ركعات صلاته فإنه يجلس بعد ذلك لهذا الذكر الذي جاء الأمر به في هذا الحديث، فيكون ذلك بعد كل ركعتين، فإن كانت الصلاة أكثر من ركعتين فهو يقال مرتين بعد الركعتين الأوليين وبعد الثالثة في المغرب، وبعد الرابعة في الرباعية، ويقال فيما كان اثنتين بعد الركعة الثانية.

فهذا موطن هذا الدعاء وهذا الذكر، فيكون في هذين الموطنين في الصلاة، يعني بعد الركعتين من الصلاة، فإن كان أكثر من ركعتين فيذكر فيها مرتين كما تقدم ذكره. والتشهد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم بعدة ألفاظ، ورواه عدد كثير من الصحابة بألفاظ مختلفة وكلها جائزة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: كلها سائغة باتفاق المسلمين، قال البزار: أصح حديث عندي في التشهد حديث ابن مسعود، وهو ما تقدم معنا ذكره وهو في الصحيحين، فهو أصح إسناداً وأثبت رجالاً، ولكن ما جاء من زيادات وصحت عن النبي صلى الله عليه وسلم جاز الأخذ بها.

وقد ذكر بعض الأئمة أن تشهد ابن مسعود رضي الله عنه هو أفضل التشهدات الواردة، وهو ما تقدم ذكره معنا في هذا الحديث حديث الباب (إذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم ليتخير من الدعاء ما أعجبه إليه فيدعو) فإذاً هذا

### هو أصح أو أرجح هذه الألفاظ الواردة.

ولكن كما قد سبق معنا في مسألة أخرى أن كل ما ثبتت به السُّنة أو جاءت به السُّنة وثبت يجوز الأخذ به والتنوع فيه جائز والله أعلم، ولكن من حيث الأفضلية لعل هذا أقوى سنداً وامتناً وأرجح والله أعلم.

### نأتي إلى حديث آخر بعد هذا الحديث وهو فيما يقال من الذكر بعد الصلاة:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من سبَّح الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسع وتسعون، وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غُفرت خطاياهم ولو كانت مثل زبد البحر) رواه مسلم، وفي رواية أخرى (أن التكبير أربع وثلاثون). إذاً الحديث في الصحيح فلنسا بحاجة لبيان درجته.

### من الألفاظ الواردة:

"من سبح الله" أي قال سبحان الله، وكلمة سبحان الله مصدر منصوب لفعل محذوف تقديره سبحت الله، ولا يستعمل غالباً إلا مضافاً، فيقال سبحان الله، يعني اللفظتان معاً، والمصدر هو التسبيح وهو التنزيه، ومعنى ذلك تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل عيب وكل نقیصة، تنزيه الله سبحانه وتعالى عما لا يليق به، هذا معنى التسبيح.

أما الحمد هذا اللفظ الثاني: أو قول "وحمداً لله" فالحمد هو الثناء على الله سبحانه وتعالى بصفات الكمال، وهو المستحق لذلك الكمال المطلق سبحانه وتعالى، فيُثنى عليه سبحانه وتعالى بهذا الثناء وغيره.

قوله "كبر" أي قال الله أكبر، ومعنى ذلك أن الله أجل وأعظم من كل ما عداه، وحُذف المعمول للتعظيم، الله أكبر من ماذا؟ أطلق، كل شيء لا نحده، فالله أكبر من كل شيء هذا هو المراد، ولذلك الإطلاق هنا له معنى، ولو عُدد لطلال التعداد، فكلمة الله أكبر تغني عن ذلك وتبقى على هذا التعظيم، فأكبر من كل شيء مهما كان ذلك الشيء عظيماً، سواء في الصورة أو في القلب عند الإنسان أو غير ذلك فالله أعظم من ذلك كله، فيبقى الأمر على إطلاقه.

وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: "وحده لا شريك له" بعد قوله "لا إله إلا الله" يعني جاءت عندنا "لا إله إلا الله وحده لا شريك له"، ف"وحده لا شريك له" هي تفيد معنى "لا إله إلا الله" وإنما جاء بها للتأكيد، فإذا نُفي الشريك فمعنى ذلك التوحيد وهذه هي كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" فإذا جاء بذلك للتوكيد.

وسبحانه وتعالى هو صاحب القدرة في قوله صلى الله عليه وسلم: "وهو على كل شيء قدير" هو سبحانه صاحب القدرة المطلقة على كل شيء وهي عامة شاملة.

### نأتي إلى الأحكام المستنبطة من هذا الحديث:

١- استحباب هذا الذكر بعد الصلوات الخمس المكتوبة، فهذا الذكر جاء ترتيبه على هذا، فإذا رتب على هذا الأمر فهو الأولى، فهذا الترتيب متناسب غاية المناسبة، فأولاً يبدأ بالتسبيح سبحانه الله ومعنى ذلك التنزيه كما تقدم معنا في معناه، ثم الحمد لله وهو الثناء على الله سبحانه وتعالى، ثم الله أكبر، إذا كان نُزّه سبحانه وتعالى وكذلك محمد وأُثني على الله سبحانه وتعالى بأنواع المحامد، يأتي بعد ذلك فمن كانت فيه هذه فهو يستحق التعظيم فجاء التكبير بعدها فيقال الله أكبر، فالتنزيه أولاً وهو سبحان الله، التحميد والثناء على الله سبحانه وتعالى بقول الحمد لله، ثم يأتي من توفرت فيه هاتان الاثنتان فهو الذي يستحق التعظيم وهو أعظم من كل شيء فيقال الله أكبر.

فإذاً هذه الصيغة تقال في هذا، وهذه الصيغ أو قول الإنسان لها ممكن أن يأتي بكل واحدة مستقلة، فيقول سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، ثلاث وثلاثين، ثم يأتي بعد ذلك فيقول الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله، أيضاً مثلها ثلاثة وثلاثين، ثم يقول الله أكبر مثلهما، أيضاً ثلاث وثلاثين، ثم

يقول تمام المائة "لا إله إلا الله وحده لا شريك له" إذاً هذه صورة في الإتيان بها. ويمكن أن يأتي بها المصلي أو الذاكر لله سبحانه وتعالى متتالية فيقول: "سبحان الله والحمد لله والله أكبر" وكل هذه الصيغ جائزة، يأتي بها كل واحدة على حدة، أو يأتي بها مفرقة.

٢- نقول أن الحديث أو هذه الأذكار جاء فيها أحاديث -هذا الحديث وغيره- وجاء في بعضها أن التكبير أربعاً وثلاثين، ولم يأت فيها ذكر كلمة التوحيد، التي تُتمّ المائة، التسبيح ثلاثة وثلاثون، والتحميد ثلاثة وثلاثون، هذه ستة وستون، ثم يكون هناك أربع وثلاثون للتكبير فتمت المائة بهذا، جاء كذلك في هذا حديث.

جاءت روايات أخرى أيضاً وهي في البخاري أن التسبيح دُبِرَ كل صلاة عشر مرات، فإذا جاءت روايات مُختلفة، الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري يقول: "جمع البغوي في شرح السنة بين هذا الاختلاف باحتمال أي يكون ذلك صدر في أوقات متعددة، ويحتمل أن يكون ذلك على سبيل التخيير، أو يختلف باختلاف الأحوال"، فإذا جاءت روايات ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومختلفة الألفاظ والعدد، **والجمع بينها:**

**الوجه الأول:** إما أن ذلك جاء من النبي صلى الله عليه وسلم في أوقات متعددة.

**الوجه الثاني:** أن يكون على سبيل التخيير يقول هذا أو هذا، أو أنه يختلف باختلاف الأحوال، فلربما الإنسان حاله ووقته يسع المطول فيأتي بالذكر المطول، أو أنه وقته قصير أو لا يستطيع أن يأتي بذلك ووقته ضيق فيأتي بالمختصر، هذا المراد مما قاله الحافظ ابن حجر فيما نقله عن البغوي رحم الله الجميع.

**فإذاً فهذا الذي يترجح والله أعلم أنه ما دامت الأحاديث كلها صحيحة وجاءت بهذا الذكر بألفاظ متعددة وأعداد متفاوتة فلو نوع على القاعدة التي ذكرناها من قبل، لو نوع المسلم في عباداته وفي أذكاره هذا مرة وهذا مرة كما قلنا من قبل في دعاء الاستفتاح، يقول هذا مرة وهذا مرة، مادام ثبتت بها السنة فإذا ينوع في العبادة ويأتي بهذا مرة وذاك مرة، أو أنه يراعي أحواله، فإن كان حاله يستطيع أن يأتي بالمطول فيأتي به، وإن وقته قصير أو حاله لا يتحمل بالمطول فيأتي بالمختصر.**

والمراد من ذلك كله أن يحظى المسلم بأعظم قدر من الأجر والثواب، وبلا شك كل المسلمين يحرصون على هذا، ومادام كلنا نريد ذلك فلنحرص على فعله، ويكون العمل بالروايات كلها أو بأكثر من واحدة منها في صلاة واحدة، فإذا فلو سبّح في صلاة: ثلاثاً وثلاثين وحمد ثلاثاً وثلاثين وكبر ثلاثاً وثلاثين ثم قال تمام المائة: لا إله إلا الله، هذه مرة.

وفي الصلاة الأخرى فعل غير ذلك: سبّح ثلاثاً وثلاثين وحمد ثلاثاً وثلاثين وكبر أربعاً وثلاثين كذلك هذا.

ولو جاء في صلاة أخرى ثلاثة فعل أيضاً العشر كما جاء في صحيح البخاري.

فإذاً في كل صلاة يأتي بواحدة نعم، لكنه لا يجمع بينها كُلُّها في صلاة واحدة، هذا ما يُفهم من هذا الذكر.

هذا الذكر ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أجره عند الله تعالى فقال عليه الصلاة والسلام: **(عُفِرَتْ خطاياهُ ولو كانت مثل زبد البحر)** والمقصود بذلك الكثرة، حتى ولو كانت أكثر من زبد البحر، فالنبي صلى الله عليه وسلم لعَلَّه لم يقصد العدد بذاته وإنما قصد التكفير.

والذنوب التي تكفرها هذه الأذكار وغيرها من الأفعال إنما هي صغائر الذنوب، أما الكبائر **فتجب** **فيها التوبة بشروطها المعتبرة:**

- ١- الإقلاع عن الذنب.
- ٢- العزم على عدم الرجوع إليه.
- ٣- الندم على ما مضى.
- ٤- وإذا كان يتعلق بحق آدمي أن يتحلل من العباد بإعادة حقوقهم أو بطلب العفو والمسامحة.

**يذكر بعض العلماء شرطين في هذا وهما بلا شك أساس:**

- ١- أن تكون بنية لله تعالى.
- ٢- أن تكون في وقت المهلة أي قبل الغرغرة، أو قبل النهاية الكبرى وهو طلوع الشمس من مغربها. فتكون بوقت المهلة وتكون بنية لله سبحانه وتعالى، فهذه هي التوبة، فالكبائر يلزم فيها هذه التوبة. وأما الصغائر فمكفراتها كثيرة، هذه الأذكار، والصلوات الخمس، والحج، والعمرة، وصوم رمضان والوضوء، كل هذه من مكفرات الصغائر وهذا فضل من الله ومنّة.